حلم وكتاب

لمراسل « الزهرة »

— ١ —

سيداتي — سادتي : هل في حقائق الحياة البينة الثابتة ما يفوق تلك الحقيقة الدامغة التي تؤكد لنا ان الاحلام تصح ؟

إن هذا العالم المدهش العجيب الذي يتجدد كل يوم أمام أنظارنا الحائرة بل ان هذا العالم المفعم بالروائع والآيات التي كانت تفوق حد التصديق في الأمس القريب يجيش ببوادر الاحلام التي أصبحت تتحقق اليوم وأصبح تحققها يتوّج هاية التفكير الطويل، والانتظار المتعب المستطيل، والكفاح الوجيع الصبور ، والاخفاق الذي كان يعقب الاخفاق ، ثم الفوز المبين أخيراً

وما من معجزة نحيط بنا فنن الطائرات وآلات الصور المتحركة وأجهزة الجهار والاسلاك البرقية والمواصلات اللاسلكية والقطارات والسفن كانت في أحد الايام حلماً تحركت به بعض الخواطر وهمس في طاقة من الضمائر

ومع ذلك فقد كان العالم يهزأ بالحالم ويشك في أمره أعواماً مديدة ، الاّ ان الحالم لا بدّ أن يلمح ما في نفسه ، ويتتبع له رائد النجح

وقلّ من جدّ في أمر يحاولهُ واستصحب الصبر الاّ فاز بالظفر..

والحالمون هم الذين أقطعونا في الدنيا جوانب العيش الخصب العريض ، والخير الجم المستفيض ، وأرشدونا الى مبادرة الروائع ، وفتحوا لنا أمصار الفرص البيض ، ولعلهُ لم يخطر لنا ببال مطلقاً ، ان ما نردد فيه أبصارنا ونعده من خاص ملكنا في هذا الكون الوسيع ، منتسب الى عطاء حلم رائع عتيق ، ورؤيا بعيدة صدقت . . . لندر الطرف حولنا ولنسأل — من ذا الذي منحنا النعم المألوفة لدينا ، والصنائع الشائعة بيننا ؟ ومن ذا الذي أسبغ النور علينا ليلاً ؟ وحبانا بالقدرة على الطواف حول العالم نهاراً ؟ ومن ذا الذي أباد الوباء وحقق الطاعون ؟ وأعاننا على قهر الداء والادواء ؟

لقد ملأت جميع هذه المواهب الكبيرة صدر العالم ، وتناهت علينا تتابع القطر على القفر

فورتاها مع الهواء الذي نستنشقهُ . وتلك الصيحة الظافرة نفثت الينا من أروقة الزمن المقرامية قائلة — « وجدتها ! — وجدتها !! — »

ان أرخميدس لم يقم بمظاهرة هائلة حين باح للعالم بسر الثقل النوعي ، ولكنهُ قفز من حمّامه فجأة وراح يعدو في طرقات المدينة متهللاً ، ويهيب بالناس قائلاً وجدتها ! — وجدتها !

وكذلك كانت تلك الروح الزخارة التي أنعشت دنيا العلم قاصية ، دون ان تضطرب بحب الكسب او المنفعة الشخصية ، في كيان واحد من الافذاذ الذين أنقذوا الكواهل بأياديهم ، لانهم بذلوها في سبيل المصلحة العامة ، وأضافوها الى حصائل العمران من فيض سجاياهم السمحة ، وبسخاء نفوسهم الامارة بالخير ، المطبوعة على المعروف ، فكأنهُ عنصر من عناصرها يحاكي الجمان والشذى في الزهر ، او غريزة من غرائزها تشبه غريزة التغريد في الطير . . . وكانوا جميعهم سعداء مغتبطين اذ مكنوا الانسان من حكومة نفسه ، وضاعفوا قدرته على تصريف أموره والاخذ بناصيتها ، وكأني بهم قد حملوا ألوية جهادهم ، وبنود كفاحهم وكانت المجالدين الشجيين تدفق من شفاههم ولكن بروح من النبل الذي يفوق كل ما انتاج من سجاياه في حياة أولئك الرومان الغر اليامين فكأنهم كانوا يخاطبون الانسانية بلسانهم قائلين — « نحن الذين نوشك ان نموت موت الايثار والفداء نحييك يا قيصر ! ! »

حقًا ان انتصاراتنا الباهرة على ويلات الحياة سجلة في سيركتيرين من أولئك المجالدين الاوفياء ومع ان الموت في سبيل العرفان لم يكن من نصيبهم على الدوام الاّ ان مثاربهم الصامتة كثيراً ما كانت محفوفة بمخاطر جسيمة تحيف الصبر وتجهود فدح يهد الاركان ويجعل الموت عذباً مستساغاً — واننا نعلم ان وليم هارفي حين أعلن في محاضراته المتواضعة سر الدورة الدموية في الجسم الانساني وكان اول من فتح الاذهان لفهم سر من أسرار الوجود العظيمة لم يكن يطمع في منحة أعظم من اقبال الناس على ابحاثه وقبولها بروح العطف والاستفادة . بيد أن العالم أبى عليه هذه المنحة ... ولقد مات تيخوبراهي في أحضان الفاقة والشقاء وهو سنّ فشع عن العقول البشرية غيوم الترهات والخزعبلات ، التي كانت تدفعها الى الفزع من الاجرام السماوية

وكذلك كانت الحال في الثروة المادية التي تنشط اليوم مئات الصناعات والحرف وتوطد دعائم حضارتنا ونحن لا نستطيع بحال من الاحوال ان نحصي أياديها لانها لا تعد ولا تقف عند حد بل ان الاستفادة بها والتغني بذكرها هما أقصى ما يبغيه الاعلام الذين جدّوا وسعوا دون ان يتطلبوا جزاء ولا شكوراً في سبيل الانارة والنهوض بالانسانية ولقد انتقل العالم من عصر الحديد الى عصر الفولاذ فعصر الكهربية واللاسلكي وجميع هذه المكتشفات الاساسية التي غيرت وجه الوجود قد أهدتها الينا رجال أفاضوا شآبيب برهم وسحب معلوماتهم

وذكائهم كعطايا جزيلة لأهل جيلهم فنحن نشيد عمرانا على أسس وضعها أولئك المجاهدون الصناديد الذين اتخذوا من ميادين القتال ومصانع الكفاح مدارس للبحث والتفكير ومعملات للاختبارات العملية والتجارب العلمية أمثال نيوتن وبايير ودالتون وجيمس كلارك ماكسويل وهنريك هرتز ودافيد أدوارد هوك وغيرهم من الباحثين الذين جدّوا في تحقيق أحلامهم التجريبية حتى ظهر اخيراً المخترع الايطاليّ العظيم ماركوني وتناول أبحاث أسلافه في نظرية تركيب الجوهر الذري واستحالة الاقتدار والتموجات الأثيرية وإشعاع أمواج المغناطيسية الكهربية ولم يزل بها حتى تمكن من إتمام اختراعه الباهر فلم يكد يشارف السابعة والعشرين من عمره حتى برهن على صحة مخترعه عمليًّا وأذاع أشارته اللاسلكية الاولى عبر المحيط الاطلسي . ولا شكّ في أن أغلبنا يعرف عظيم ما ندين به لصمام الحرارة (الثرمونيكي) الذي اخترعه الاستاذ فلنج ولا يخفى علينا ان ذلك الصمام ينبعث من كوكبة كهربائية ولكن كم منا يذكر ان هذه الكوكبة لم تكن لتوجد لولا تلك الانبوبة المفرغة التي ابتكرها السير وليم كروكس؟ على أنّ هذه الانبوبة التي كانت حلماً يتردّد في مخيلة ذلك الرجل المستطلع صارت فيما بعد مهداً للخوارق التي بزّت جميع ما سبقها من أعمال قوى الطبيعة الغامضة فقد اكتشفت فيها وبوساطتها الأشعة السينية. وان من السير ان نذكر نصف المدهشات التي تأتت من هذه الانبوبة العجيبة . هذا ونحن نعيش كل يوم بالمواهب العظيمة التي أتاحها لنا هنري كافندش كاشف غاز الايدروجين وجوزيف بريستلي كاشف الاوكسجين والكيميائي الفرنسي لافوازييه الذي علّمنا سرّ وظيفة التنفس ولكننا قلّما نفكّر في الاحلام الطويلة التي استرسل فيها أولئك الفطاحل ولا المخاطر الشديدة التي استهدفوا لها. وامثالنا لا ننسى ان بريستلي قد فرّ الى اميركا تاركاً بالملامة وان الفرنسيين قد قضوا على حياة لافوازييه بحدّ المقصلة الجهنمية مجاهرين بان الجمهورية ليست في حاجة الى طغمة الكيميائيين وان العدل يجب أن يأخذ مجراه فيهم

ايه . ان هذه الفيافي التي نجوس الآن خلالها ، مترامية الاطراف وعرة المسالك ولكنها جد عظيمة لان رجالاً عظاماً قد عبّدوها وأخضعوها لسلطاننا حبًّا في العلم والعرفان

مقادمهم وصّالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يماني
اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حال ام بأي مكان

على ان هذا لم يكن غاية جهودهم فان اولئك الناس الذين كانوا يفنون للعمل مبكرين ويهجعون للراحة متأخرين ليستخرجوا من الطبيعة ادقّ اسرارها وغوامضها ويستغلوا من اعظم ذخيراتها الكائنة اعظم قوى اقتدارها قد رصدوا ساعاتهم وسواعدهم وأفكارهم للكدّ دون ان

يعرفوا طعماً للدَّعة . وكأنَّ الشريف الرضيَّ كان بينهم حين قال : —

وركبٍ سروا والليل ملق رواقه على كل سبطِ المطالع قاتم
حدوا عزمات ضاعت الارض بينها فصار سواهم في ظهور الزائم
تريهم نجوم الليل ما يبتغونهُ على عاتق الشعرى وهام التعائم

وكانوا اذا تمت المعجزة على أيديهم وتمكنوا من استخدام الجوهر الفرد في هد الرواسي وزلزلة الجبال في افادة العالم الذي يكوّنون جزءاً غير منظور منهُ يقدّمون اليهِ هذه المعجزة دون قيد ولا شرط ويطلعونها عليه طلوع الشمس التي تحفظ الحياة على الارض ونحن جميعاً نجني ثمراتها ونتقاسمها دون أن نبذل في سبيل الحصول عليها فلساً واحداً . وكذلك تتابع فصول تلك القصة العجيبة الحلوة التي بدأت منذ شرعت اول شعاعة من شعاعات العلم والمحبة تبدد الظلمات الداجية والاطماع الاشعبية من العقل الهمجي الطاغي والفكر المتوحش الغامي واننا لن نجد في كل ما يسرد علينا فصول تلك القصة أفصح من ذلك الفصل الذي تحدثنا به تواريخ الطب والجراحة الفائضة عطفاً وحبًّا ورحمةً فما من مصل يستعمل لشفاء الامراض الا وينتمي الى ذلك المفتاح الواقي الذي منحهُ الطبيب جنر لحماية العالم من تبريح الجدري . ولا تجري عملية عظيمة على يد أحد الجراحين اليوم الا ونجد الجراحي والمريض يتوهان بنسة جيمس سمبسون الذي اغتبط بنجح مسعاه في كشف جواهر المخدرات التي تفقد الاحساس بالألم وتجعل القيام بالعمليات الجراحية الخطيرة هيناً مأموناً . اما لويس باستور الذي علّم الناس التحرز من المرض بالتطعيم وحفظ الأغذية والسوائل العضوية بالتعقيم فلم يتقاضَ على جهوده غير الحمد والشكران. وجاء جوزيف لستر واتبع افكار باستور واستخدمها في محو الألم ودرء السموم عن الاجسام فكان عدد الذين انقذهم من الموت بتعاليمه أكثر من الذين ابادهم نابليون بحدّ السيف . وضفر للعلم من اكاليل المجد فوق ما ضفرته الحرب لاعظم ابطالها الفاتحين وقضى حياته وهو يكدُّ ويعلم ويحقق حلمه . وبفضل مواهبه امكن للجراحة اليوم القيام بجميع ضروب العمليات واصبح الطبيب القادر على اجراء تلك العمليات يفاخر بما أسدتهُ اليهِ طريقة لستر بل أصبح يشعرها لسلاً فيكبرها كبار الجراحين وينهل من نبعها جماعة الطلبة المتعطشين ويجعلونها قبلة أنظارهم. ولقد كان لستر يتقاضى مبلغ خمسمائة جنيه من موسر يجري له احدى عملياته أما الأجر الذي يتناوله من فقير لاجيء الى بعض المستشفيات الخيرية فلم يكن يتعدى عبارة « أشكرك ياسيدي » تتدحرج على شفتي ذلك البائس بصوت مختنق منهدّج وكان الرجل العظيم يعود الى بيته بقلب يطفح شكراً لله تعالى الذي آتاه القدرة على تخفيف بلاء المنكوبين

واذا الرجال تصرفت اهواؤها فهواء لحظة سائل او آمل

ويكاد من فرط السخاء ثنائه حب العطاء يقول هل من سائل

بيد أن ظواهر هذا البذل الانساني العظيم لا تقف عند هذا الحد لأن اولئك الرجال الذين يمنحون عنا أمراضنا لا يترددون في الخطار بحياتهم دون ريث ولا اهمال

مسترسلين الى الحتوف كأنما بين الحتوف وبينهم ارحام

آساد موت مخدرات ما لها بين الصوارم والقنا آجام

ولا يوجد علاج او وقاية من امراض المنطقة الحارة الا وقد ابتاعوه لنا بأعمارهم الغالية فكان الواحد منهم يجرب علاجه الواقي المحي في جسمه قبل ان يجربهُ في مريض . وتاريخ الطب حافل بآيات الشجاعة والولاء والبطولة التي لا تقل عما تفيض به اخبار اعظم الفاتحين . بل اننا حين نذهب بحديثنا الى بداية عصرنا الحالي — عصر الهندسة السلمية واقامة الجسور والقناطر المتينة وحفر الترع والقنوات الدهشة — نجد العالم من ورائها جميعاً ونجد السفن تجري من محيط الى محيط آمنة مطمئنة في قناة بناما حين كانت الحياة الانسانية مرخصة . ولولا أن وجلاً اسمه رولاند روس جلس يحلم ليلة بعد ليلة من خلال منظاره المكبر ثم عثر اخيراً على البعوضة التي تحمل جراثيم الموت . ولولا أن جورجاس وريد اخبرا العالم انه يستطيع ان ينزل بالحمى الصفراء لما تأتى حفر قناة بناما

— ٢ —

بل اننا حين نذهب بحديثنا الى اوائل هذا العام نجد في متناول ايدينا ثمرة حلم عبقري أينعت في ربيع حياة فتىً مصري وأذاعت أريج أمنيته النادرة التي تطوع بها عهد دراسته الثانوية . أما الفتى فهو العالم الشاب الدكتور مرقس غريغوري خريج جامعة اكسفورد والعضو بمجمع الطب النفساني الدولي والطبيب النفسي الذي زاول صناعته النبيلة ردحاً من الزمن في طائفة من العيادات السيكولوجية في لندن . أما الحلم فقد كان في احدى أمسيات سنة ١٩٢٧ اذ راح يتناقش مع اثنين من اخوانه الطلبة في قنا بصعيد مصر وكانوا يتحدثون عن المهنة التي يزمع ان يتخذها كل منهم في مآتي الأيام فقال هو انهُ يؤثر ان يكون طبيباً بيد ان عينه ما كادت تهدأ في تلك الليلة نفسها حتى تراءى له في نومه شبه كائن نوراني متزمل برداء ناصع البياض وأنبأه بأنهُ سيكون طبيباً نفسياً . وفي الصباح التالي كتب الى ابيه وكان مقيماً في بلدة نوص مسقط رأسه وأفضى اليه بحلمه فأرسل اليه ابوه خطاباً قال فيه « لتكن مشيئة الله يا ولدي » وتشاور الوالد الحكيم في امره مع كاهن كنيسته الارثوذكسية فنصحهُ بارساله الى المدرسة الاكليريكية الخطية في القاهرة . وبعد ان قضى بها اربع سنوات اختاره بابا الاسكندرية البابا كيرلس سكرتيراً خاصاً له حين رسم مطراناً للحبشة واستصحبهُ معهُ الى اديس أبابا . وهناك وصل

اليها شرع يدرس اللغة الانجليزية حتى أتقنها ثم انتظم في سلك الرهبنة ورقاه بابا المطران الى رتبة قسيس. واتفق ان زار اديس ابابا في سنة ١٩٣٢ رجلان من جهابذة أهل النظر من الانكليز هما المستر اكستون والمستر فسون فأكرماه بزيارة ودية خاصة. وبعد سنة اتصل الى علمه ان ثانيهما قد عين استاذاً في كلية ويكليف هول في جامعة اكسفورد فتاق الى تناول العلم الذي صرح لرغبته برغبته في تعاطيه وتجدد شوقه القديم اليه فسافر الى لندن في سنة ١٩٣٤ وانتظم في الكلية المشار اليها وهناك استحثته همته على اخذ عقله بالتثقيف ومعالجة معارفه بالتعليم الذاتي والاستفادة من الوسط الثقافي الذي حلّ فيه وما لبث مع الايام ان دانى أهله وعالج مثلهم المعارف وقد اجتمعت لهُ المزيات الخلقية التي تساعد على التبادل والتفاهم الى الذكاء الخبير ودماثة الخلق ووفرة التواضع وشدة الايمان وحسن المعشر وبر المحسنين الافذاذ وثبات المثابرين في التحصيل. وقد درس الآداب والفلسفة على الدكتور وليم براون مدير معهد السيكولوجيا التجريبية باكسفورد وزميل بكلية الاطباء الملكية. وعلى البروفسور ن. جرينستد استاذ فلسفة الديانة بجامعة اكسفورد وبعد ما قضى هذه السنوات جاداً في الدرس نال درجة بكالوريوس في الآداب بترجمة الجديدة التي وضعها لسفر المزامير من اللغة العبرية الى اللغة الانجليزية بيد ان صيته لم يستطر بينهم الا بعد ان تولت الايام اضاجه وتقلبت به وفرة الاستقراء في قوة الملاحظة والموازنة ولكي ينال درجة الدكتوراه في الفلسفة وضع الكتاب الذي اتخذته عنواناً للشطر الثاني من حديثي اليكم الليلة. والكتاب مثال الوفاء للعقيدة والبر بالبشرية فهو عزيز المثال تستغرق قراءته أياماً ممتعة بل اسابيع رافعة في عالم الانسانية السامية وتطوف بقارئه السعيد في افق الروح فهو سفر نفيس موضوعه علاج الامراض بالتأثير العقلي علمياً ودينياً بل انني لا اعتسف الشبهات حين أقول انهُ يمكن ان يسمى كذلك العلاج الروحاني غير اني أرجو ألاَّ يلتبس على أحد فهم هذه التسمية فيخلط بين العلاج الروحاني وبين العلاج بتحضير الارواح فالبون بينهما شاسع والفرق بعيد. ولقد حقق هذا الشاب الدكتور البارع حلمه الرائع بكتابه الجليل الجامع الذي بسط فيه آراءه وعقائده بجرأة سمحة في أحلك الأماكن ظلمة وأشدها جهامة وأصبها مرتقى لانها دخيلة طارئة طريفة مستحدثة في الميادين العلمية والدينية ولم يجاهر بتلك الآراء في سرعة خاطفة كأنها الطائر يخرج من القفص هارباً بل بدأت المؤمن المقتنع بصدق ما يقول وبصحته. وقد ذكر في مقدمة كتابه المؤثرة انهُ قد قرر جميع ما وصل اليه في فصوله بعد أعوام النظر والتعمق في التفكير ولئن كان قد اقتبس الكثير من الكتب واستخلصهُ فانهُ أكبر ديناً للتجربة التي استفادها من معالجة المشكلات الشخصية والزوجية في الحبشة ومن اشتغاله في عيادات المستشفيات السيكولوجية « بروايت فيلد »

« وستي تمبل » في لندن فهو وقد أدلى بحجته الوثيقة وآرائه الخاصة واستدلالاته الصحيحة قد وجد في علماء أوربا وأميركا قضاة فاهمين وشهوداً عدولاً . وقد قال استاذه الكبير في الكلمة التي قدم بها الكتاب « ان تلميذه النابه قد حقق كفايته للنهوض بمهمة الموضوع الذي وفاه حقه من البحث وان علاج الامراض بالتأثير العقلي (سيكوثيرابي) يجب ان يبنى على أساس مكين من مكتشفات علم النفس وفن الطب من الوجهة العلمية . ولكن طبيعته والغرض منهُ يقضيان بأن يتجاوز هذه الحدود ويساهم بنصيب في علم الاخلاق ويستكمل نوره في تلكتي الفلسفة والدين. وقد وضع الدكتور مرقس غريغوري كتابه في الموضوع من هذه الناحية المزدوجة الأفق وعالج كل وجه من وجوهه بروح الانصاف متكئاً كل تحيز فأخرج بذلك مؤلفاً علمياً جديراً بالمقام السامي الذي ينبغي للسيكوثيرابي ان يتبوأه في ميدان الفلسفة الاجتماعية والدينية

وكذلك قال الاستاذ جريفستد في كلمته التي وضعها لتقديم الكتاب

« يسرني ان تتاح لي فرصة الترحيب بهذه الدراسة الكاملة الدقيقة التي قدمها الدكتور غريغوري وأن أوصي بمطالعتها ولا شك في انهُ متحمس غير ان حماسته من النوع الذي يعمل العمل العلمي الصالح المبني على التحقيق والتدقيق لا التعجل في قبول البينات او في الوثوب الى نتائج غير راسخة الأساس » . والكتاب ضخم ومؤلف من اثني عشر فصلاً تشمل الموضوع من وجهاته التاريخية والنظرية والتطبيقية . وهو يبحث في الفصل الاول منهُ عن الصحة والمرض مبيناً العلاقة الوثيقة بين النفس والجسم . ويعالج في الفصل الثاني الشفاء بالسحر قبل العصر المسيحي اما في الفصل الثالث فقد تكلم عن شفاء السيد المسيح للامراض والمعجزات التي صنعها . وقد أقدم على بحثها وتمحيصها من الوجهتين العلمية والدينية بروح الساعي الى معرفة الحقيقة وردّها الى أصولها في غير تهيب لوعورة هذا الموضوع الشائك ودقته . ويتكلم في الفصل الرابع عن الشفاء بوساطة الكهنة والشفاء بالاستهواء فدرس تطور العلاج بالتأثير العقلي من فجر التاريخ وما أنتجتهُ حكمة قدماء المصريين وما عملتهُ الكنيسة المسيحية وشهادة أفراد عديدين لها الى اليوم . وفي الفصل الخامس يورد شيئاً كثيراً عن تقدم السيكوثيرابي . وفي الفصل السادس يوفي البحث حقهُ في تشريح الشخصية البشرية والامراض التي تشن بوساطة الطب النفسي . ويشرح في الفصل السابع دائرة السيكوثيرابي ووسائل العلاج العلمية . وفي الثامن يجيد التحدث عن التحليل والاعتراف . وفي التاسع عن التنويم المغناطيسي العلمي والوهمي . ويظهر في الفصل العاشر علاقة الايحاء ببعض المسائل الدينية وعامل الايمان في ذلك الايحاء . أما في الفصل الحادي عشر فيفيض في وصف الفلسفة التركيبية للحياة . وفي هذا الفصل المشبع تتجلى عبقرية المؤلف ولا عجب فالعود لا يورق الا في تربته . وقد قال عالم كبير اوربي انهُ لا يوجد لهذا الفصل ضريب في كل ما كتب

الى يومنا هذا. وانا شخصيًّا قد تأثرت به أبلغ تأثير لانهُ يغري باستثمار الحاجة الماسة الى جعل غرض معين وهدف مقصود في الحياة . وقد ذكر المؤلف ان السيكولوجيا تعدُّ هذا الهدف حيويًّا لازماً لانهُ يوحي الى المرء الثقة بالنفس ويفرض عليهِ تكوينها وان الحب هو فنُّ الحياة الصحيحة وان قوام السيكوبراي الصحيحة الكاملة هو الطهر والقداسة وان اساس ذلك الطهر هو الايمان بالعناية الالهية والاستهداء بها وان من اظهر مميزات هذه الحكمة الجودة والمحبة . وهذا الايمان يؤكد ان المتمسك به ينظر الى الحياة الكاملة نظرة ثابتة رحيبة غير متناهية تقهر الموت وتخضع شوكته . وفي الفصل الثاني عشر الذي يختم به سفره النفيس يتحدث عمن ينبغي ان يكون له الحق في الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة. وسطور ذلك الفصل صريحة الوشاية عما تنابه روح المؤلف الوابي من تباريح التوجع حين يلمح تلك النظرة المرتسمة على عيني انسان يجتر اعصابه المحترقة كل يوم فتدل نظرته على الشكاية الصامتة والألم الدفين . وتثير في نفس كل من ينبغي القيام بمعالجته روح المحبة الكاملة والتمازج الاكيد والسعادة التي يجدها في شعوره بان في تلبية حرارة وعطفاً يجملان الحياة بأسرها ويجملان وحشة المتألمين أنساً يملأ فراغ حياتهم

هذا والكتاب مذيل بفهارس وبيان للمراجع المتعددة التي استعان بها المؤلف

* * *

سيداتي . سادتي

حقًّا ان هذا الكتاب الفريد في فنه الجامع لشتيت الفوائد جدير بان يكون موضع الفخر لمصرنا العزيزة . وإني لسعيدة اذ استطعت ان أتحدث بنعتهِ لديكم في غير مِنٍّ ولا تفوق بدوره عليكم وللحقيقة أقوه بهِ ولخير الوطن أدخر ذكره بينكم . وقد كنت أود أن أنظركم الى شرح مستفيض لفصوله في الآني القريب لولا دواعي الصحة المتعثة التي تهيب بي فتجبرني على الاذعان لأمر الطب والاطباء . الالتجاء حيناً الى أحضان العزلة والسكون . وعسى ان يتاح لي اذ ذاك نقل طائفة من فصوله لمسمعكم واداعتها في بعض محلاتنا العربية او ان يقيض الله قلماً أقوى من قلمي الواهن فيسدي الى المجتمع الشرقي عوارفه ويهدي له فوائده كي يغتدي بمؤلفه العظيم الذي مدَّ له المكتشف بر . ادورَّ عليهِ من خالقه ونفع غلة ظمأه برحيق علمه . وليشترك مع جمهرة المحللين الافذاذ الذين صيَّروا علمنا اليوم أجل وأعظم من علمهم بالامس ومنحوا العالم قوة ليس من ورائها مطمع لحاقد ولا فوقها مرمى لأمنية . ويسروا للانسان ان يقضي الأمن والسعادة والصحة على هذه الحياة الدنيا ويجعل منها فردوساً ينقش عليهِ صورة جنة الخلد ويفرش فيهِ بحاسن النعيم الابدي